شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

٧ نابغة بني شيبان (تتمّة)

ومن جيّد شعر النابغة لاميّته التي مدح فيها يزيد اوّلها (من الخفيف) :

أَذِنَ اليومُ جيرتي بارتحالِ وبَيْنٍ مودّعٍ وارتجالِ

وهي طويلة ومن حكمها قولهُ :

يا بُنَيَّ أُستمعْ فذا وعظُ شيخٍ عَجَمَ الدهرَ في السنينَ الطوالِ
كلُّ عيشٍ ولذّةٍ ونعيمٍ وحياةٍ تُودي كفَيْءِ الظلالِ
كفّني الحلمُ والمشيبُ وعقلي ونهى الله عن سبيلِ الضلالِ
وأرى الفقرَ والغنى بيد الله م وخَتْفَ النفوسِ في الآجالِ
ليس ماءٌ يَرْوَى بهِ مُنْفَدُ واتنا لا يَنُورُ كالأوشالِ
قد يغيضُ الفتى كما يَنْقُصُ البَدْ رُ وكلٌّ يصيرُ كالمُنْحالِ
فَمُحاقٌ هذا وهذا كسيرٌ بعد ما كان ناشئاً كالهلالِ
ليس يُغني عنهُ النسيجُ ولا البَزْ جُ ولا مُشْفقٌ كريمُ الفعالِ
ليس حيٌّ يبقى وان بلغ الكِبْ م دَ إلّا مَصيرُهُ للزوالِ
إن تَمُتْ أنفسُ الانام فانَّ م اللهَ يبقى وصالحَ الاعمالِ
كلُّ ساعٍ يسعى ليُدرك شيئاً سوف يأتي بسَعْيهِ ذا الجَلالِ

فهمْ بين فائزٍ نال خيرًا وشقيٍ اصابَهُ بنكالِ
انَّ مَنْ يركبُ الفواحش سرًّا حين يخلو بسرّهِ غيرُ خالِ
كيف يَخلو وعندهُ كاتباهُ شاهداهُ وربُّهُ ذو الجلالِ (١
فاتقِ اللهَ ما استطعتَ وأحسِنْ انَّ تقوى الإلهِ خيرُ الخِلالِ

ومنها في مديح يزيد بن عبد الملك الخليفة :

تبتغي من يزيدَ فضلَ يديهِ اريحيًّا فَرْعًا سمينَ الفعالِ
حَكَمًا بين الأعاصي وحربٍ (٢ أبطحيَّ الأعمام والاخوالِ
أمُّهُ مَلْكةٌ تمتّعها ملوكٌ وهي اهل الإكرام والإجلالِ
تلك امٌّ كنتْ يزيدَ بها او جمالًا يَبُدُّ كلَّ جمالِ
وابوهُ عبدُ المليك نماهُ زادَ طَوْلًا على الملوك الطِوالِ
فهو مَلْكٌ تمتّهُ ايضًا ملوكٌ خيرُ من يَحتذي رِقاقَ النعالِ
حالفَ المجد عَبْشميًّا إماماً حلَّ دارًا بها تكونُ المعالي
أعطيَ الحِلْمَ والعفافَ معَ الجُو دِ ورأيًا يفوقُ رأيَ الرجالِ
وحباهُ المليكُ تقوًى وبرًّا وهو من سُوسِ ناسكٍ وفِحالِ
يقطعُ الليلَ آهةً وانتحابًا وابتهالًا لله ايَّ ابتهالِ
تارةً راكعًا وطورًا سجودًا ذا دموعٍ تنهلُّ ايَّ انهلالِ
عادلٌ مُقسِطٌ وميزانُ حقٍّ لم يَحِفْ في قضائهِ للموالي

(١) ذو الجلال اي شديد العقوبة . ويروى : ذو الجلال . وأراد بالكاتبين ملاكين صالح يطالع يراقبان الانسان لتدوين اعمالهِ الحسنة والسيئة وهما تاكر ونكير (٢) هم اجداد بني امية

مُوفياً بالعهودِ من خَشيةِ الله م ومن يُعْفِهِ يَكُنْ غيرَ قالِ
مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ تقيٌّ قويٌّ وهو اهلُ الاحسانِ والإجمالِ
وهو إن يَعْفُهُ فِتَامٌ شعوبٌ يبتدي المُتْفين قبل السؤالِ
ويَذُدْ عنهمُ الخَلالةَ منهُ بسِجالٍ تَغْدو أمامَ سِجالِ

وقال في الخليفة عمر بن عبد العزيز (من الخفيف) :

نحو عبدِ العزيز ما تَطْعَمُ النَّو مَ ومنها بعد الرَّواح البُكورُ
وهُوَ الثالثُ الخليفةُ لله م امامٌ للمؤمنين امير
ان ارادوا التُّقى بهِ فتَقيٌّ او ارادوا عدلًا فليس يجورُ
ولدتهُ الملوكُ مَلْكاً هُماماً فهو بدرٌ غمَّ النجومَ مُنيرُ
حَكَمِيًّا يُراحُ للمجدِ فَرْعاً موفياً بالعُهود حين يُجيرُ
معشرٌ مَعْدِنُ الخلافةِ فيهم بدؤها منهمُ وفيهم تَحُورُ
لا يرومنَّ مُلْكَهم آدميٌّ انَّ من رامَ ملكَهم مغرورُ
إبنَ أمِّ البنين انت فتى النا سِ وانتَ الموفَّقُ المأجورُ

ومن مديحهِ للخليفة الوليد (من الكامل) :

تنوي وتتجعُ الوليدَ خليفةً يُعْفَى بذلك جُهْدُها وجَمامُها
ملكٌ اغرُّ نما لملكٍ كفُّهُ خيرُ العطاء بدورُها وسَوامُها
تَندى اذا بَخِلَ الاكفُّ ولا تُرى تعلو براجمَ كفِّهِ إبهامُها
وهو الذي يُمسي ويُصبحُ مُحسناً شتَّى لهُ نِعَمٌ جَدًا إتمامُها

واذا قريشٌ سابَقَتْك سبَقْتها بقديم أولاها وانت قِوامُها
واذا قناة المجدِ حاوَلَ اخذَها فبطولِ بَسْطتهِ يُبَدُّ جسامُها
انت الذي بعد الاِله هديتَها ان خاطَرَتْكَ بالقداحِ قوامُها
فورثتَ قائدها وفُزْت بقِدْحها وخصمتَ لُدًّا لم تَهُلْكَ خصامُها

قد سبق ما رويناهُ عن ابي الفرج الاصفهاني في نصرانيّة النابغة الشيباني على انَّ في ديوانهِ قصيدةً تدلُّ على انهُ ارتدَّ للاسلام وذلك في قصيدة فائيّة قالها في مديح الوليد. ومن المحتمل ان الوليد جذبهُ بالوعد او بالوعيد الى جحود دينهِ ولنا في تاريخهِ ما يُثبت تشدُّدهُ على النصارى والله اعلم. وهذه بعض ابيات تلك القصيدة (من البسيط) :

انَّ الوليدَ اميرَ المؤمنين لهُ حقٌّ من الله تفضيلٌ وتشريفُ
خليفةٌ لم يَزَل يجري على مَهَلٍ اغرُّ تَنمي بهِ البيضُ الغطاريفُ
لا يُخمِدُ الحربَ إلّا رَيْثَ يوقدُها في كلِّ فجٍّ لهُ خيلٌ مَسانيفُ
يحوي سبيًا فيُعطيها ويقسمها ومن عطيَّتهِ الجُرْدُ السراعيفُ
اخزى طَرَنْدَةَ منهُ وابلٌ بَرَدٌ وعسكرٌ لم تَفُزْهُ العزلُ الجُوفُ(١
مازالُ مسلمةُ(٢ الميمونُ يَحْضُرها وركنُها بثقال الصخرِ مقذوفُ
وقد احاطت بها ابطالُ ذي لَجَبٍ كما أحاط برأسِ النَّخلة الليفُ
حتَّى علَوْا سُورَها من كلِّ ناحيةٍ وحانَ مَنْ كان فيها وهو ملهوفُ
فاهلها بين مقتولٍ ومُنتَلَبٍ ومنهم موثَقٌ في القِدِّ مكتوفُ

---

١) قال في الديوان : « طَرَنْد ملك الروم » والصواب ان طرندة مدينة كانت على ثلث مراحل من مَلَطية. والجُوف جمع أجوف وهو من لا عقل لهُ ٢) هو مسلمة بن عبدالملك

يا أيها الاجدعُ الباكي لمسلكهم هل بأسُ ربّك عن من نام مصروفُ
تدعو النصارى لنا بالنصر ضاحيةً والله يعلمُ ما تخفي الشراسيفُ
قلّعتَ بيعتهم عن جوفِ مسجدنا فسخرُها عن جديدِ الارضِ منسوفُ(١
كانت اذا قام اهلُ الدين فابتهلوا باتت تجاوبنا فيها الأساقيفُ
فاليوم فيهِ صلاةُ الحقّ ظاهرةٌ وصادقٌ من كتاب الله معروفُ

وختمها بقولهِ :

تمّت قصيدةُ حقٍّ غير ذي كذبٍ في حُوكها من كلام الشعر تأليفُ

ومما قالهُ في سيرهِ في انحاء الشام (من الوافر) :

أرِقْتُ وصاحِبيَّ ببَلْبَكٍّ وأرّقني الهمومُ مع التشكّي

ومنها في رسوم الدار واطلالها :

وكم من دونها من خَرْقِ تيهٍ ومن رَمْلٍ ومن جبَلٍ ودَكِّ
غَشيتُ لها رسوماً دارساتٍ بأسفَلَ اَعْلَمٍ من دون أرْكِ
تُغيّرها الرياحُ وكلُّ غَيْثٍ لهُ حَبْكٌ رُواءٌ بَعْدَ حَبْكِ
وقفتُ بها ودمعُ العين يجري تحادُرَ لُؤلؤٍ من وَهْيِ سِلْكِ
ومن يَسَلِ الرسومَ فلا تُجِبْهُ يَحِنَّ كما حننتُ بها ويبكي

ومن حِكَمهِ ايضاً ما ورد في اوّل قصيدة ديوانه التي بدؤها (من الطويل) :

---

١) يشير الى ما فعلهُ الوليد اذ إغتصب نصارى دمشق على كنيستهم الكبرى فحوّلها جامعاً (الجامع الاموي)

أرِقتُ وشرُّ الداء همٌّ مؤرِّقُ كأني اسيرٌ جانبَ النومَ مُوثَقُ

وفيها يقول ويؤخذ منهُ انَّ نابغة بني شيبان هو المدعو بالنابغة البكريّ :

وقال العدوُّ والصديقُ كِلاهما لنابغةَ البكريّ شعرٌ مُصدَّقُ
فأحكمُ ألبابِ الرجالِ ذوو التُّقى وكلُّ امرئٍ لا يتَّقي اللهَ احمقُ
وللناسِ أهواءٌ وشتَّى همومُهم تُجمِّعُ احياناً وحيناً تُفرِّقُ
وزرعٌ وكلُّ الزرعِ يُشبهُ أصلَهُ همُ وُلدوا شتَّى مَليسٌ ومُخْمَقُ
فذو الصوتِ لا يجني عليهِ لسانُهُ وذو الحِلم مَهديٌّ وذو الجَهلِ أخرَقُ
ولستُ وان سُرَّ الاعالي بهالكٍ وليس يُنَجّيني من الموتِ مُشفِقُ

ومن قولهِ في بلايا الدهر (من الطويل) :

ما الناسُ الّا في رِماقٍ وصالحٍ وما الدهرُ الّا خِلفةٌ ودُهورُ
مَراتبُ إمّا البؤسُ منها فزائلٌ وكلُّ نعيمٍ في الحياةِ غُرورُ
فذو الشرِّ لا يبقى ولا الخيرُ دائمٌ وكلُّ زمانٍ بالرجال عَثُورُ
متى يَختلفْ يومٌ عليك وليلةٌ يَلِحْ منهما في عارضَيكَ قَتيرُ
جديدانِ يُبلَى فيهما كلُّ صالحٍ حَثيثانِ هذا رائحٌ وبَكُورُ
وأعلمُ أنْ لا شيءَ يبقى مؤمَّلاً خلا أنَّ وجه اللهِ ليس يبورُ
وكلُّ امرئٍ ان صحَّ او طالَ عمرُهُ الى ميتةٍ لا بُدَّ سوف يصيرُ
يؤمِّلُ في الأيام ما ليس مُدركاً وليس لهُ من ان يَنالَ خَفيرُ
وكائِنْ تَرى من كاملِ العقلِ بُدِّدَرَى ومن ناقصِ المعقولِ وهو جَسورُ(١

١) رواهُ في حماسة البحتري (ع ٦٨٦) : وهو طريرُ

ومنهم قصيرٌ رامَ مجدًا فنالَهُ وآخرُ هَيْقٌ في الحفاظِ قصيرُ
ومن طالبٍ حقًّا بفحشٍ يفوتُهُ ويُدركهُ بالحقِّ وهو ستيرُ

ومن اقوالهِ ايضاً في الدهر وحدثانهِ (من البسيط) :

كم من مؤمّلِ شيءٍ ليس يُدرِكهُ والمرءُ يُزري بهِ في دهرهِ الأَمَلُ
يرجو الثراءَ ويرجو الخُلدَ مجتهدًا(١ ودونَ ما يُرتجى الاقدارُ والأَجلُ
والدهرُ يُبلي الفتى حتى يغيّرهُ كما تغيَّر بعد الجدَّةِ السَّمَلُ
كلُّ المصائبِ انْ جلَّت وان عَظُمت الّا المصيبةَ في دينِ الفتى جَلَلُ

ومنها في مدح مسلمة بن عبد الملك بن مروان :

يَنوونَ مُسلمةَ الفيّاضَ نائلهُ وكَعْبُهُ في يَفاعِ المجدِ معتدِلُ
حُلْبُ القناةِ رباً والحزمُ شيمَتُهُ فليسَ في امرهِ وَهْنٌ ولا هَزَلُ
قضاؤهُ مستقيمٌ غيرُ ذي عِوَجٍ فليس في حكمهِ حَيْفٌ ولا مَيَلُ
القائلُ الفَصْلُ والميمونُ طائرُهُ فليس في قولهِ هَذْرٌ ولا خَطَلُ
لا ينقضُ الامرَ إلّا ريثَ يُبرِمُهُ وليس يَثْنيهِ عن أمرِ التُّقى كَسَلُ
انَّ الذين بهم يرمون صخرتَهُ لن يبلغوهُ وان عزّوا وان كَمُلوا
لن يُدركوكَ ولم يأخُذْكَ سَوْمُهمُ حتى يُولِّجَ ثُمَّ الإبرةِ الجملُ(٢

ومن قصائدهِ المستحسنة فائيّتهُ التي اوّلها (من البسيط) :

---

١) كذا روى البحتريّ في حماسته (ع ١٦٦) وفي الديوان : ذو امل
٢) هو تشبيهٌ مستعار من الانجيل

بانَ السَّفاهُ (١ وأودى الجهلُ والسَّرَفُ وفي التُّقى بعد إفراط الفتى خَلَفُ
وقد كساني شباباً قد غَنِيتُ بهِ مرُّ الليالي مع الأيام تختلفُ
قالت ليَ النفسُ سرًّا اذ خلوتُ بها والنفسُ صادقةٌ لو انَّها تَقِفُ
انَّ الشبابَ جنونٌ شَرْخُ باطلهِ يقيمُ غضًّا زماناً ثمَّ ينكشفُ
ذَرِ الشبابَ فلا تتبع لذاذَتَهُ انَّ الذي يتبعُ اللذاتِ مُقْتَرِفُ
من يَعْلُهُ الشيبُ لم يُحدِثْ لهُ عِظَةً فذاكَ من سُوسهِ الإفراطُ والعَنَفُ
فلا تَهابنَّ أسفارًا وإن بَعُدَتْ إن هابها عاجزٌ في عُودهِ قَصَفُ
قد يَرْجِعُ المرءُ لا تُرجَى سلامتُهُ وقد يُصيب طويلَ القِعْدَةِ التَّلَفُ

ومما يروى لنابغة بني شيبان عبدالله بن مخارق (في حماسة البحتري ع ١٢٧٦) ولم نجدهُ في ديوانهِ قولهُ في سكوتهِ عن جواب الجاهل (من الطويل) :

سأمنعُ نفسي رَفْدَ كلِّ بخيلِ وأَحبِسُ نُطقي عن جوابِ جَهولِ
فانَّ الجَهولَ لا يَرُدُّ كلامُهُ وليس سبيلُ الجاهلين سَبيلي

وروى لهُ ايضاً البحتري (ع ٢٥٣ و ٨١١) يوصي بِرَأْخاة الصالحين والابتعاد عن ذوي النسيمة (من الوافر) :

عليكَ بكلِّ ذي حسَبٍ ودينٍ فانَّهمُ همُ اهلُ الوفاءِ
وإنْ خُيِّرتَ بينهمُ فَلاصِقْ باهلِ العقلِ منهمُ والحَياءِ
فانَّ العقلَ ليس لهُ اذا ما تفاضَلَتِ الفضائلُ من كِفاءِ
ولا تَثِقَنَّ بالنَّمَّامِ فيما حَباكَ من النصيحةِ في الخَلاءِ

(١) قال الانباري في الاضداد (ص ٦٥٩) : السَّفاه الخفَّة والطيش محمود

وأيقنْ أنَّ ما أفضي اليهِ من الأسرارِ مُنكشفُ الغطاء

وقال الدينوري في تاريخهِ المدون بالاخبار الطوال (ed. Guirgas, p. 197): «كتب معاوية الى عليّ: انما مَثَلي ومثل عثمان كما قال مخارق (من الطويل):

فمهما تَسَلْ عن نصريَ السَّيْدَ لا تجدْ لدى الحربِ بيتَ السَّيْدِ عندي مُذَمَّما

فكتب اليهِ عليّ: اني عارضٌ عليك ما عرض مُخارق على بني فالج قال (من الطويل):

يا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغَنْ بني فالجٍ حيثُ استقرَّ قرارُها
هَلُمُّوا الينا لا تكونوا كأنكمْ بلاقعُ ارضٍ طارَ عنها غُبارُها
سَليمُ بنُ منصورٍ أناسٌ أعِزَّةٌ وأرضُهمُ ارضٌ كثيرٌ وَبارُها

وكذلك روى لهُ في اللسان في مادّة غنى (٢٠ : ٢١٨) قولهُ ممّا لا ذكر لهُ في ديوانهِ يصف ما في شعرهِ من الهجو الحادّ (من الوافر):

وقافيةٍ كأنَّ السُّمَّ فيها وليس سليمُها ابدًا بنامي
صرفتُ بها لسانَ القوم عنكُم فخَرَّتْ للسنابكِ والحوامي

(قال) النامي الناجي. وروى لهُ ياقوت في معجم البلدان (١ : ٧٢٠ و٣ : ٦١ وفي المشترك ص ٦٦) قولهُ (من البسيط):

أرى البَنانَةَ أقوَتْ بعدَ ساكنِها فذا سُدَيْرٌ وأقوى منهمُ أُقُرُ

(قال) البنانة ارضٌ من بلاد غطفان. والبنانة ايضاً ماء لبني جَذيمة. والسُّدَير موضع في ديار غطفان وقيل قاع بين البصرة والكوفة. وأُقُرُ جبل

(لها بقية)